جمهورية مصر العربية
جامعة الزقازيق
المعهد العالى لحضارات الشرق الأدنى القديم

مجلة
حضارات الشرق الأدنى القديم

دورية علمية محكمة

http://www.east.zu.edu.eg

الزقازيق

العدد الثانى – السنة الثانية– أكتوبر ٢٠١٦ م–الجزء الأول

رقم الإيداع ١٨٤٣٥ - الترقيم الدولى (٥٣٣٥ - ٢٠٩٠)

مطابع جامعة الزقازيق

عدد خاص بأبحاث المؤتمر العلمي الدولي

حضارات الشرق الأدنى القديم ومؤثراتها عبر العصور

الذى أقيم خلال الفترة من ١٣–١٥ مارس ٢٠١٦

بالمعهد العالى لحضارات الشرق الأدنى القديم–جامعة الزقازيق

بالتعاون مع كلية التربية الأساسية جامعة بابل

العلاج بالقراءة
في مكتبات العراق ومصر عبر العصور

أ.م.د. خالدة عبد عبد الله
كلية التربية الأساسية
الجامعة المستنصرية

العلاج بالقراءة
في مكتبات العراق ومصر عبر العصور

أ.م.د. خالدة عبد عبد الله

كلية التربية الاساسية، الجامعة المستنصرية

المقدمة:

تهدف الدراسة إلى إلقاء الضوء على وظيفة من وظائف المكتبات عني بها الإنسان في حضارتي واديّ النيل والرافدين في أن معا أو تبادليا، وذلك يدل على مدى الرقي الذي بلغته في تلك الحقب الموغلة في القدم، وهي في الوقت الحاضر تعدَّ ارقي ما تقدمه المكتبات من أنشطة وخدمات وهي وظيفة قلما تعنى بها المكتبات في أكثر بلدان العالم تطورا في الوقت الحاضر، تهتم بتقديم مجموعة متميزة من مصادر المعلومات لغرض المعالجة بالقراءة وتسمى بـ"الببليوثريبيا" وقد لايخفى المعنى الخاص بعملية "القراءة".

إذ إن احد معانيها المتداولة بين الناس يتضمن جانبين: فني يعبر عن إبداع المؤلف، والأخر جمالي يتذوقه القارئ، إلا أن المكتبات ومنذ أقدم العصور قد تنبهت إلى بعد ثالث لعملية "القراءة" وهو البعد العلاجي، ويسمى اصطلاحا "العلاج بالقراءة، أو الببليوثيرابيا" وهو ما يحاول البحث الحالي سبر أغواره، والكشف عن أسراره.

وجدت الدراسة عددا من النتائج، فالعلاج بالقراءة كان معمولا به في العراق وتمثل في أعلى سلطة(آشور بانيبال)، أما في مكتبات مصر فقد اتخذته مبدأ وأساسا تقوم عليه وظائفها وهو "طب الروح"، تحول هذا الشعار في العصور الإسلامية إلى واقع في قسم متميز من مكتبات مستشفى المنصور بن قلاوون للتداوي بالقراءة(في طب الجسد، والنفس) سواء بالقرآن الكريم، والمصادر الأخرى، يسعى الأكاديميون في العصر الحاضر لاسيما في علم المعلومات والمكتبات صياغة الأسس النظرية لتقديم المعالجة بالقراءة لاعتمادها في المكتبات، وفي العراق قوانين وتشريعات المكتبات نصت ضمنا على ذلك، إلا إن التطبيقات لاتزال

بعيـــدة المنـــال وتحتـــاج إلـــى جهـــود حقيقـــة مـــن المتخصـــصين فـــي علـــم المعلومـــات والمكتبات لتفعيلها دراسة وتطبيقا(عملا وإضافة أو تعديلا، أو تغييرا)

أن تاريخ العلاج بالقراءة متجذر في القدم، ومن المتواليات الحضارية التي شهدها تاريخ بلاد مابين النهرين، وبلاد النيل، ولعلنا لا نجانب الصواب إن أرجعنا كلمة "القراءة" إلى المصدر (قرأ) في اللغة العربية، وأول كلمة نزل بها الوحي إلى النبي محمد(صلى الله عليه وسلم)، وأمره بالقراءة، فـ(كلمة) "اقرأ" فعل أمر واجب التنفيذ، فاعله ضمير مستتر وجوبا، فالخطاب القرآني موجه من ذي الجلال والإكرام إلى البشرية جمعاء، ابتداء من نزول الوحي إلى أن يشاء الله تعالى. ارتبط العلاج بالقراءة بعلاقة وثيقة ظاهرة للعيان بالكتب السماوية، ليس القرآن وتعاليم الدين الإسلامي فحسب، وإنما سمة مشتركة للأديان عبر تاريخ الإنسان، توفر له الفكر وحسن التعبد سواء بأداء الفرائض والعبادات، أو الأدعية التي كانت ملاذ الإنسان في كل حين، وفي الوقت ذاته كانت دور العبادة المكان الأول لنشوء الكتابة، وحفظ المدونات، وتنظيم المكتبات، وفي المكتبات تنجز أفعال القراءة كافة من تعلم وتعليم وتفكير وعلاج سواء لما يواجهه الإنسان من حوادث، أو لما يطمح إلى تحقيقه وانجازه من تحصيل علم، أو احتراف مهنة أو الحصول على منصب راقٍ في قابل الأيام. ولهذا حفظت التشريعات[1] في العصر الحديث حقوق المواطن بأن فرضت أن تنشأ مكتبة في كل مدرسة، أو معهد وجامعة، وفي كل محافظة أو ناحية أو قصبة أو مستشفى، وفي كل وزارة أو شركة أو مؤسسة بحث أو مؤسسة خدمية أوإنتاجية فضلا عن ضرورة إنشاء مكتبة وطنية واحدة أو أكثر لحفظ النتاج الفكري للبلد وتكون مركزا للإيداع يحفظ حقوق الملكية الفكرية والمعنوية للانجازات الورقية والرقمية أو المادية كالإلحان واللوحات الفنية والمخططات الهندسية والمنحوتات لأصحابها وغير ذلك مما نصت عليه قوانين الإيداع.

كلمات مفتاحية:

القراءة، العلاج بالقراءة في المكتبات، العلاج بالقراءة – العراق، العلاج بالقراءة – مصر

تعريفات:

- **القراءة:**

لغة:

[1] الحيّاني، خالدة عبد عبدالله. التشريعات المكتبية في العراق: دراسة تحليلية. رسالة ماجستير. الجامعة المستنصرية، كلية الآداب، ٢٠٠٠.

لفظة حضارية[١] من المصدر "قرأ" بمعنى "تلا" من نص مكتوب، أو من الذاكرة،[٢] ومثاله، قَرَأْتُ القُرآن: لَفَظْت به مَجْمُوعاً أَي أَلقيته،[٣] وينقل بن منظور قول سيبويه: قَرَأَ واقْتَرَأَ، بمعنى، بمنزلة عَلا قِرْنَه،[٤] القِراءة والاقْتراءِ والقارِئِ والقُرْآن مصدر والأَصل في هذه اللفظة الجمع، وكلُّ شيءٍ قَرَأْتَه فقد جَمَعْتَه، وسمي القرآنَ لأَنه جَمَعَ القِصَصَ والأَمرَ والنهيَ والوَعْدَ والوَعِيدَ والآياتِ والسورَ بعضَها إِلى بعضٍ.

اصطلاحا:

القراءة مهارة أساسية مكوِّنة للبُعد المعرفيِّ ،[٥] وطريقة مُثْلى للوصول إليه، هدفها تنمية الجانب الثقافي والاجتماعي والاقتصادي والحضاري للفرد والمجتمع، وعمليَّة تطوُّريَّة [٦] تكسب القُدرَة على فَهْمِ واستِعمال أشْكال اللُّغة المكتوبة للمشاركة في أنشطة المجتمع، والمساعدة في تَحقِيق التفاعُل الإيجابي مع الحياة.

إجرائيا:

يشتمل المعنى على إكساب مهارات الحصول على المعلومات للارتقاء بفكر وعقل وصحة جسم ونفس "القارئ" على أحسن وجه وأجوده، وإتاحة أفضل البدائل لمواءمة متطلبات الحياة واحتياجاتها.

العلاج:

لغة، يقصد به المراس والمداواة، وفي الاصطلاح ارتبط المعنى بأخذ الدواء، أما إجرائيا، فيشمل البحث عن سبل متعددة لإزالة عدد من العوارض التربوية أوالثقافية أوالاجتماعية تحد من مواصلة الفرد

---

(١) نولدكة، ثيودور. تاريخ القران/ تعديل فريدريش شفالي: نقله الى العربية جورج تامر. – بيروت: دار الجيل، ٢٠٠٨، ص٣١.

(٢) النحل/ ٩٨، الإسراء/٩٣، الحاقة/١٩، المزمل/ ٢٠، الأعلى/٦.

(٣) بن منظور،. لسان العرب. باب القاف، مادة، قرأ.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) البرجاوي، مولاي المصطفى / القراءة منهجيًا وعلاجيًا. شبكة الألوكة. بتاريخ، ٢٠١٦/٢/٢٣. على الرابط:

http://www.alukah.net/social/0/79703/#ixzz40tX2dXPa

(٦) الحسين، بدر. أهداف القراءة وعملياتها. شبكة الألوكة. بتاريخ، ٢٠١٦/٢/٢٣

على الرابط:

http://www.alukah.net/social/0/27150/#ixzz40tcqV7jR

مسيرة حياته في المجتمع، واستعمال مفهوم العلاج بالقراءة في هذا البحث يعود إلى مرحلة ما قبل ظهور الأعراض من مبدأ "الوقاية خير من العلاج" أي أن القراءة وسيلة اتصال تعيد تشكيل الأفكار والتصرفات وتساعد في اتخاذ القرارات، يعمل المعالج بالقراءة(أمين المكتبة) على توثيق الصلة مع القارئ ليتمكن من اختيار المواد الملائمة التي تسهم في تعديل اتجاهاته وسلوكه، وإمداده بمصادر معلومات تشبع أو تلبي احتياجاته.

العلاج بالقراءة، أو الببليوثيرابيا:

استعمال مواد قرائية مختارة كمواد معالجة تساعد في الطب البدني أو الطب النفسي، فضلا عن التوجيه إلى حل المشاكل الشخصية من خلال القراءة الرشيدة[١] مشيرا إلى تعريف قاموس وبستر الدولي الجديد[٢] وهذا التعريف قد اعتمدته جمعية المكتبات الأمريكية عام ١٩٦٦[٣] والاصطلاح(bibliotherapy) مشتق من الأصل اليوناني المكون من كلمتين هما: كتاب(biblion)، وعلاج أو مداواة (therapeia)، والعلاج بالقراءة هو برنامج يتكون من أنشطة متعددة بتخطيط وإشراف وتنفيذ ومتابعة مختص بـ(بالصحة البدنية، و/اوالنفسية، و/اوالتربوية) لتوفير وسائط اتصال لتعزيز الصلة بين طرفي العملية العلاجية، ويشير المالكي[٤] إلى ثلاثة أنواع من الببليوثيرابيا:

١. الببليوثيرابيا المؤسسية المباشرة: يعنى بتقديمها أخصائي الطب، أوالطب النفسي للمرضى ويوصي بقراءة مجموعة من الكتب الموصوفة للعلاج كالكتب الدينية وكتب الأدب (المنظوم أوالمنثور كالقصص والروايات والمسرحيات والحكم والأمثال والسير) داخل المؤسسات الصحية.

٢. الببليوثيرابيا الإكلينيكي:[٥] يشار في هذا النوع من العلاج إلى قراءة الكتب الخيالية للذين يعانون من المشكلات العاطفية، أوالسلوكية بهدف تغيير السلوك، أوتعديله المشرف على برنامج العلاج طبيب، أومرشد نفسي، أوأمين المكتبة أوبالتعاون بينهم.

---

(١) السيد، احمد. مدونة العلاج بالقراءة، بالمواقع: www.arabcin.net, www.islam-online.net و www.aawsat.com www.bafree.net بتاريخ، ٢٠١٦/٢/٢٣

(٢) Webster's Third New International Dictionary

(٣) المالكي، مجبل لازم. اتجاهات حديثة في علوم المكتبات والمعلومات. – عمان: مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، ٢٠٢، ص١٧٦.

(٤) المصدر نفسه، ص١٧٧.

(٥) معنى كلمة(إكلينيكي) كما وردت في قاموس المعاني، يقصد بها عيادي أو سريري، إشارة إلى العلاج الهادئ غالبا.

٣. الببليوثيرابيا التطويرية: استعمال العلاج بالقراءة مع الناس كافة في مراحل حياتهم العمرية ووفقا لميولهم الشخصية، بهدف توجيه النمو الطبيعي والتعرف على الذات والمحافظة على الصحة النفسية والعقلية، يقدم هذا النوع من البرامج في المدارس والمكتبات، ولاسّيما المكتبات العامة كجزء من متطلبات الارتقاء بالوعي الفكري وأنشطة التعبير عن الذات وتنميتها، وهذا النوع من البرامج هو ماتهدف الدراسة إلى تسليط الضوء عليه والبحث فيه.

أهمية القراءة:

تبقى القراءة أكثر المهارات حظا وصلاحية باكتساب المعرفة، وتنمية عمليات التفكير والفهم والتحليل لأنواع الموضوعات العلمية كافة، وأداة للتعليم في كل زمان ومكان، وجهد فكري يكسب حسن التحدث، وجودة النطق، والتفنن في الإلقاء، فضلا عن تذوق ثمرات العقول، والنقد والحكم التمييز بين الصحيح والفاسد، والقراءة لا تؤتى ثمارها إلا بعد أن يجري التفاعل بين شخصية القارئ وفهم المادة المقروءة، والذي يوظف لإحداث التوافق والنمو السوي والصحة النفسية **وتحقيق:**

- منح الفرصة للتعلّم الذاتي: يستطيع الإنسان أن يكتسب مهارة (التعلم الذاتي)، إذ أصبحت من أهم عوامل التطوّر ومواكبة العصر الحديث ومتطلباته.
- وسيلة اتصال رئيسة للتعلم والتعرّف على الثقافات والعلوم، وتعدُّ المصدر الرئيس للنمو اللغوي للفرد، ونموِّ شخصيّته(خلقا وذوقا وأدبا وسلوكا)، والغذاء الرئيس لعقله.
- استثمار الوقت، وتجنب هدرهُ بما لاينفع، لزيادة الثقافة والتطوّر والتعلّم، وتوسيع مدارك الإنسان في مجالات شتّى من الحياة سواء كانت أدبيّة أو فكريّة أو تاريخية أوفقهية أو دينية او علمية أو فنية أو رياضية.
- أداة بناء الحضارات وتطوّرها في موضوعات المعرفة كافة، فالإبداع في مجال معيّن يتطلب التركيز على القراءة في مجمل النتاج الفكري المتخصص فيه وزيادة الخبرات وتطبيق ما يقرأهُ، ولاسيما في عصر المعرفة والتكنولوجيا والإنترنت، فأصبح التعلّم، لا يحتاج إلى القراءة فحسب، بل إلى التفاعل مع المعرفة وفهم المادة المقروءة وانتقادها لاكتساب الخبرة وزيادة الفرص المتاحة باستثمارها في الإبداع والابتكار والتطوير.

- العلاج بالقراءة، وقد أنشأت المكتبات في المستشفيات،[١] لفسح المجال للقراءة العلاجية، ولأن الإنسان كائن متكامل يصعب فصل التأثير المتبادل بين الجسم والعقل والحالة النفسية والمؤثرات الخارجية، ظهر الاهتمام بطرق متعددة للمساعدة في العلاج الطبي منها العلاج بالموسيقى، والعلاج بالرسم، ثم العلاج بالقراءة، ويشرح الدكتور شعبان خليفة[٢] في كتابه[٣] التجارب والنظريات العلمية التي أثبتت أن التفاعل بين شخصية القارئ والإنتاج الفكري الذي يقرؤه له تأثير على الإنسان ويساعد في علاج كثير من حالات الاختلال النفسي، وفي تنمية الشخصية، وأصبح شائعا استخدام القراءة للعلاج من المخاوف المرضية (الفوبيا) مثل الخوف من الظلام، أو من الأماكن المرتفعة أو الأماكن المغلقة، أو الخوف من الفشل في الحياة العملية، أو الزواج، أو الدراسة، فالقراءة عتاد متعدد المنافع، ما بين المعرفة وتحصيل العلم، والترفيه والاستمتاع، ومواجهة المخاوف، ولهذا فـ"القراءة العلاجية"، أحد مسببات الوقاية من الخوف، ذلك المرض الكامن في نفوس البشر، الخوف من الواقع، أو المجهول، ويصبح من نافل القول: أن القراءة علاج ووقاية من الأمراض.

تاريخ العلاج بالقراءة في العراق:

يحتفظ تاريخ العراق بشواهد تدل على حب أهله منذ أقدم العصور للقراءة، لعل أبرزها ما ذكره الآثاريون من نقوش وكتابات سومرية وآشورية وبابلية تذكي فيهم رغبة الفخر والتحدي بامتلاكهم الحكمة وباكتساب أسرار القراءة، والتمكين من قراءة أصعب النصوص السومرية والأكدية والنقوش الحجرية قبل زمن الطوفان، ومنهم الملك الآشوري آشور بانيبال(٦٦٩ ـ ٦٢٦ ق.م.) في مدينة نينوي عاصمة الإمبراطورية الآشورية الأخيرة التي امتدت من شمال مصر وفلسطين وسوريا وحتي بلاد الميديين في غرب العراق القديم).[٤]

---

[١] مكتبات المستشفيات هي فرع من فروع المكتبات العامة.

[٢] شعبان عبد العزيز خليفة، أستاذ علم المعلومات والمكتبات في كلية الآداب، جامعة القاهرة ورئيس الجمعية المصرية للمكتبات والمعلومات، وعضو لجنة الكتاب والنشر التابعة لوزارة الثقافة المصرية.

[٣] خليفة، شعبان عبد العزيز. العلاج بالقراءة أو الببليوثرابيا.– القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٠.

[٤] قزانجي، فؤاد يوسف. مكتبة آشور بانيبال: أعظم مكتبة في التأريخ القديم. بغداد: دار الشؤون الثقافية،٢٠٠٣ .

أما في العصر العباسي فكان في بغداد سوق خاص للوراقين[١] ليشبع حب الناس إلى القراءة، فمنهم من يبيت كالجاحظ[٢] يكتري ليلا في المكتبات ودكاكين الوراقين لحبه وإقباله على تحصيل العلم والقراءة، وهمته العالية، هداه عقله إلى تصرف عجيب لم يأت احد بمثله، ليمضي ليله في القراءة والتعلم، ومنهم من يتفاخر بحسن صحبة الكتاب ويفضله على جلسائه وقد ذاع صيت هذا البيت حتى تناقلته الألسن ومثلا يضرب في بيان العلاقة مع الكتاب "وخير جليس في الزمان كتاب"[٣] تشابه مقولة: "إن بغداد تقرأ" إذ لازمت صفة القراءة لبغداد، منذ ذلك الوقت.

تاريخ العلاج بالقراءة في مصر:

أدرك المصريون ومنذ القدم القوة العلاجية لقراءة الكتب، وقد ذكر المنقبون في المكتبات المصرية القديمة كمكتبات المعابد في الكرنك وإدفو ودندرة عبارات شائعة كانت تكتب على جدرانها «هنا طب الروح»، أو«هنا بيت علاج النفس»، ثم انتقلت تلك المفاهيم إلى مكتبات اليونان والرومان.

كما عرف العرب طوال تاريخهم بالبيان، والشعر هو أحد المواد الأدبية التي استعملت في العلاج بالقراءة بكثافة على المستويات العالمية، والمتتبع للتراث العربي والإسلامي يجد بوضوح أن هذا الأسلوب العلاجي قد استخدم كثيراً وما يزال، وربما تكون أقدم الإشارات إلى استخدام القراءة في المستشفيات كنوع من العلاج ما ذكره المقريزي[٤] عن المستشفى المنصوري(البيمارستان) الذي بناه المنصور بن قلاوون(المتوفى عام ٦٨٩هـ/ ١٢٧٩م) وقد كان مكوناً من أجنحة كثيرة، يختص كل جناح منها بعلاج مرض من الأمراض، ويحوي غرفة للمطالعة ومعامل كيميائية وصيدلية، وحمامات ومطبخ، وفرقة موسيقية تعزف لتخفيف آلام المرضي، وخمسون من القراء البارعين يتناوبون ترتيل القرآن الكريم ليلا ونهارا، فضلا عن دروس لتفسير القران الكريم، والحديث الشريف، والدروس الدينية، ولذا فقد أُدرِكَ ما للقراءة من اثر في استعادة العافية، لاسيما قراءة القران الكريم، إذ فيه شفاء للنفس والجسم ويرجح

---

(١) سعيد، خير الله. موسوعة الوراقة والوراقون في الحضارة العربية – الإسلامية. – بيروت: الصندوق العربي لدعم الثقافة والفنون؛ دار الانتشار العربي، ٢٠١١، ٦ أجزاء ضخمة.

(٢) وفيات الأعيان ٣/ ٤٧٠. شذرات الذهب ٢/ ١٢١. أعتاب الكتاب ص/ ١٥٤. تاريخ بغداد ١١٢/١٢ تكملة الفهرست ص/ ٣. معجم الأدباء٦/ ٥٦– ٨٠. أمراء البيان ص/ ٣١١– ٤٨٧. الأعلام ٥/ ٢٣٩. تاريخ الفكر العربي لفروخ ص/ ٢٩٥. تاريخ الأدب العربي لفروخ ٣٠٣/٢-٣١٦، الأعلام ٥/ ٢٣٩. دائرة المعارف الإسلامية: الجاحظ. أعلام الجغرافيين العرب ص٩٦. الجغرافية العربية ص٥٥. بروكلمان ٣/ ١٠٦. الأدب الجغرافي ١/ ١٢٨130 -.العلوم عند العرب ص١١٩. الجاحظ لجميل جبر: سير ملهمة، ص٢٤.

(٣) ينسب إلى بيت شعر لأبي الطيب المتنبي في بائيته ضمن مجموعة قصائد "الكافوريات".

(٤) المقريزي، تقي الدين بن العباس أحمد بن علي. كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار. – القاهرة: مؤسسة الحلبي وشركاؤه للنشر، (د.ت)، مج٢، ص٤٠٧.

الباحث مفتاح محمد دياب[١] أن هذا الأسلوب كان معمولا به في مستشفيات البلاد الإسلامية شرقا وغربا. وقد وردت في كتب التراث العربي قصص عديدة عن التداوي بالقرآن الكريم، ويكاد لا يخلو كتاب تراثي من رواية هنا وهناك تفصح عن التداوي بشعر وقصة ومثل وحكمة أوطرفة، وفي هذا السياق أجريت تجارب للعلاج بالقرآن الكريم في عدد من البلدان غير الناطقين باللغة العربية، مصابين بالأمراض كالصداع النصفي، من غير المسلمين، إذ استخدمت المعوذات (قل أعوذ برب الناس، وقل أعوذ برب الفلق)، (وقل هو الله احد) على شرائط تسجيل ووجد أن عددا كبيرا منهم كان لتلاوة القرآن الكريم أثر في تهدئة الجهاز العصبي وتخفيف الألم وظهور تغيرات فسيولوجية تدل على تخفيف حدة التوتر على الرغم أنهم من غير الناطقين بالعربية.

تاريخ العلاج بالقراءة:

يعود تاريخ تقديم خدمات العلاج بالقراءة والكتب في المستشفيات الغربية على نطاق واسع إلى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر في العديد من بلدان أوربا كبريطانيا وفرنسا وألمانيا، ثم الولايات المتحدة الأميركية.

أول برامج العلاج بالقراءة:

تتبع الباحث مفتاح محمد دياب[٢] تاريخ العلاج بالقراءة في بلدان العالم المتقدم وقد رصد عددا من العلامات البارزة منها، ما يعود إلى عام ١٨٠٢ فقد أوصى الطبيب B Rush بنيامين رش [٣] باعتماد القراءة في علاج المرضى، لأثرها الشفاء، وفي عام ١٨٤٨ ظهور مقالات عن العلاج بالقراءة، منها دراسة جون مايسون جالتJohn M. Galt، ونشر دراسة"القراءة، الترفيه والتسلية لمرضى العقول"، ذكر فيها عددا من فوائد القراءة منها، أنها تصرف العقل عن الأوهام، قضاء أوقات الفراغ، اكتساب عدد من التوجيهات والإرشادات.

---

[١] دياب، مفتاح محمد. مكتبات المستشفيات والمراكز الصحية. – عمان: دار صفاء، ٢٠٠٦، ص٤٥.

[٢] المصدر السابق، ص٤٥ و٤٦.

[٣] اتفق معه السيد، احمد. في مدونته * طريق المعلومات * * THE INFORMATION WAY *

إننا طريق المعلومات فمن تزود بها سيكمل مسيرته و من لم يتزود بها سيقف مكانه... أختار أين تحب أن تكون أنت ؟؟؟ مدونة أحمد محمد السيد عبدالله في الاثنين، يناير ٢٩/ ٢٠٠٧، على الرابط:

وقد اكتسب فاعلية اكبر بعد أن اسند العمل إلى أمين مكتبة متخصص، فقد عملت الفذة إ. كاتلين جونز في سنة ١٩٠٤ كأول أمينة مكتبة تقوم ببرامج ناجحة للعلاج بالقراءة في مكتبات مستشفى ماكلين في ويفرلي في ماساشوستس، إذ قامت باستخدام برنامج منتظم للعلاج بالقراءة في علاج المرضى.

وفي روسيا(دول الاتحاد السوفيتي سابقا) احتوت مكتبات المستشفيات على مجموعات من مصادر المعلومات متخصصة بـ"العلاج بالقراءة" يقدمها مكتبيون متخصصون إلى جانب المعالج، على الرغم من ذلك تأخر استخدام أساليب العلاج بالقراءة مع الأطفال والناشئة إلى منتصف الأربعينات من القرن الماضي.

ويعرفون القليل من المتخصصين بعلم النفس في الوطن العربي أسلوب العلاج بالقراءة، فضلا عن ضعف ممارسته في عياداتهم العامة والخاصة، على الرغم من تطوره على المستويات العالمية.

وحتى يصبح ذلك ممكنا فإن الاهتمام بالدراسات التي تعني بهذا المجال تحتاج إلى الكثير من الجهود، فضلا عن إرشاد أمناء المكتبات إلى إتقان استعمال هذا النوع من العلاج، وتهيئة وإعداد وتصنيف الكتب التي يمكن استعمالها في العلاج (النفسي، التربوي، الاجتماعي،...) وإعداد قوائم بيبليوغرافية بها، وإن إرشاد معلمي المدارس الذين لايتمكنون من إتقان مهنتهم في الصف، إلا إذا تعلموا كيف يعالجون مشاكل التلاميذ المتعددة بانتظام عن طريق القراءة.

وإذا كان العلاج بالقراءة له جذور في المستشفيات، فان استعماله في المدارس بدا مع شيوع استعمال الكتب المصورة Picture Books للأطفال على الرغم من معرفة تأثير القراءة في نفوس الأطفال في البيوت وقصص ما قبل النوم، وفي هذا الاتجاه قدمت ستفيني نوجنت S.Nugent دراسة عن تأثير العلاج بالقراءة على مفهوم الذات للأطفال الموهوبين كوسيلة لحلِّ المشكلات، والتكيف الاجتماعي لاسيما في فترة المراهقة، ويرى عدد من المتخصصين النفسانيين والاجتماعيين والتربيين أن العلاج بالقراءة يمكن أن تكون له فاعلية في الإرشاد والنصح والمشورة في مواقف الحياة المختلفة، أما أيكس N. K. Aiex فيجد لبرنامج العلاج بالقراءة عدة أسباب منها [١]: تنمية وتطوير مفهوم الذات، إدراك السلوك

---

[١] تنظر:

URL; Aiex, nola K. Bibliotherapy. ERIC Digest 2003; HTTP // WWW.ericfacillity. net/ ericdigests/ ed357333.html

والحوافز، تعزيز التقويم الذاتي والتخفيف من الضغوط النفسية، البحث عن حلول متعددة للمشكلات، والبحث عن وسائل لاكتشاف اهتمامات تلبي طموحه خارج المنزل.

برامج المكتبات الحديثة في العلاج بالقراءة:

حدد الدكتور شعبان عبد العزيز خليفة في كتابه[١] اثني عشر نوعاً من المصادر للعلاج بالقراءة هي:

١. الكتب السماوية المقدسة وعلى رأسها القرآن الكريم لقوله تعالى: "قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهم عليهم عمى " جدير بالذكر أنه قد أجريت تجارب للعلاج بالقرآن الكريم في ولاية فلوريدا على خمسة من المتطوعين الأصحاء من غير المسلمين ووجد أنه في ٩٧% من تلك الجلسات كان لتلاوة القرآن الكريم أثرها على تهدئة الجهاز العصبي لديهم ووجود تغيرات فسيولوجية. لديهم تدل على تخفيف حدة التوتر رغم أنهم من غير الناطقين بالعربية

٢- الأحاديث النبوية الشريفة (انظر كتاب الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن قيم الجوزية).

٣. القصص القصيرة خاصة

٤. قصص الخيال العلمي

٥. القصص الخفيف والخرافي ومقالات المجلات والجرائد

٦. القصص العام

٧. الشعر

٨. التراجم وسير الأنبياء

٩. كتب الإرشاد الذاتي

١٠. كتب آداب السلوك

---

[١] خليفة، شعبان عبد العزيز. العلاج بالقراءة أو البيليوثرابيا.- القاهرة: الدار المصرية اللبنانية،

١١. كتب الروح

وتشكل المكتبات بأنواعها ركنا مهما من حياة الإنسان، لاغنى عنه في تلبية احتياجاته ترافق الإنسان في ادوار وأطوار حياته كافة، وتوفر له الغذاء التذوقي والمعرفي، للتسلية والترفيه والترويح، وملئ وقت الفراغ، أوللبحث والتقصي عن حقائق اوظواهر تهمه، أو لاستيعاب الموضوعات والنظريات والظواهر العلمية، والمساعدة في أنشطة الفهم والتحليل والتقييم لأنواعها كافة منها:

١. المكتبات المدرسية: تظهر الحاجة إلى خدمات المكتبات المدرسية حاجة الجسم إلى القلب الذي يمد سائر الجسم بالدماء، اوالعقل الذي يضم مركز التفكير وحفظ التوازن، فلابد أن تضم مجموعة مختارة متنوعة غنية من مصادر المعلومات تعمل على غرس حب القراءة في نفوس الطلاب، تدريبهم على حسن استعمال الكتاب، إمدادهم بمصادر معلومات إضافية تغني المواد التدريسية كافة، فضلا عن مصادر لتفعيل وتنمية مواهبهم وأفكارهم وطاقاتهم الفكرية والحركية وتوجيهها بشكل ايجابي لتلبية ميولهم ورغباتهم القرائية المعرفية، في جو من التشويق والجاذبية.

٢. المكتبات الجامعية: تعمل على تهيئة الوسائل الكفيلة لوصول القارئ الى مصادر المعلومات المطلوبة، والاستفادة من مصادر المعلومات التي تلبي احتياجات الدراسية والبحث العلمي، فضلا عن القراءات الشخصية لاكتساب أبعاد معرفية أخرى علمية، ترفيهية، اجتماعية، تربوية، مهنية، إذ ان اكتساب المعرفة في المرحلة الجامعية لايتحقق بدون المواكبة على الدراسة المكثفة فـ"طلبَ العلومَ بغير درسٍ، سيُدرِكُها إذا شابَ الغُرابُ".

٣. المكتبات العامة: مدرسة الشعب تعمل على تحقيق عدد من الأهداف منها:

١. تشجيع التعليم الذاتي للكبار والصغار ومساعدة المدرسة على إتمام رسالتها التعليمية لاقتنائها عدد من الكتب التي تتفق ومستويات الصغار مما لا تستطيع المكتبة المدرسية اقتناءها وتمكين الدارسين والباحثين من الحصول على الكتب والمراجع ذات الصلة بموضوعات دراستهم وبحوثهم.
٢. تقديم المعلومات العامة إلى الجمهور وتثقيفه بأنواع الثقافات المختلفة والخبرات المتنوعة وتمكين القراء من المتابعة المستمرة لتطورات المعرفة في المجالات المختلفة وإثارة رغبة القراءة والإطلاع لدى أفراد المجتمع كافة.
٣. العمل على بلورة فكرة المواطن الصالح القادر على خدمة نفسه وخدمة المجتمع الذي يعيش قيه وتزويده بالكتب التي تنمي لديه المهارات الفنية المختلفة مما يساعده على تطوير مهنته ورفع مستوى أدائه وتحقيق سعادته.

٤. شغل أوقات الفراغ بما هو مفيد ودعم الروابط الاجتماعية بين أفراد المجتمع عن طريق الندوات وتبادل الآراء في المشكلات التي تهم المواطن المحلية والعالمية.
٥. جمع المعلومات الصحيحة عن البيئة المحلية التي توضح تاريخها وجغرافيتها وبذلك تكون المكتبة العامة مركزا لدراسة البيئة المحلية وحفظ تراثها.

تطبيق برامج العلاج بالقراءة:

يبقى أهم وجه من أوجه تطبيقات العلاج بالقراءة هو تحليل احتياجات القارئ الحالية والمتوقعة، وإمداده بمصادر معلومات تلبي احتياجاته ورغباته، وهذا يتضمن عمليات متنوعة لاختيار المصادر الملائمة، ولذا فان العلاج بالقراءة يقدم وسائط فاعلة للمساعدة الذاتية للقارئ لاكتساب اتجاهات ايجابيا نحو القراءة، دعم وتنمية التعلم والمعرفة، إعادة التفكير وتحفيز قابليات الخيال والإبداع والابتكار، الوصول إلى قدرات ذاتية تمكن من حل المشكلات اليومية، البحث عن بدائل ملائمة تحقق الطموح أو تقترب من تحقيقه، وهذه البرامج لا يستغني عنها الإنسان في مراحل حياته كافة.

الخاتمة:

إن القراءة غذاء للعقل، ومتعة للروح، وعلاج للنفس، وفي فترات ماضية كان الكثير من مؤيدي القراءة لأن تكون عادة من أهم العادات في المجتمع يتحدثون عن أهميتها كأداة معرفية، أو تثقيفية، وفي أفضل الأحوال كأداة للاطلاع على مستجدات التخصصات العملية، أو الحصول على فرص عمل، فضلا عن الترفيه وزيادة الخيال، بينما الأبحاث والدراسات تثبت وجود فوائد متعددة للقراءة[١] على العقل حصرا في مكافحة الأمراض وتمكين الإنسان من الحياة بشكل أفضل، ومن تلك الأبحاث بحث الأكاديمية الوطنية للعلوم الأمريكية في العام ٢٠٠١، تشير إلى أن الأفراد المنخرطين في عادات يستخدم فيها العقل كالقراءة يكونون أقل عرضة للإصابة بالزهايمر، وهذا يعني أبعاداً جديدة في العلاقة مع القراءة والكتاب. تقدم الكتب الإرشادية السبل للتطوير الذاتي، إذ أنه لا توجد مشكلة إنسانية عصية على الحل، مهما صغرت أو كبرت، فالإنسان بالقراءة يمكن أن تصبح أكثر لياقة، أو أغنى وضعا، أو أسعد حالا، بل تتوفر رفوف عديدة متوازية تكتظ بكتب المساعدة الذاتية، تسهم في زيادة الكفاءة والقدرة على الحسم، وتطوير الفكر الخلاق.

---

[١] عبدالله بن مغرم. ما لا نعرفه عن أهمية القراءة. الأحد ٢٦ ذي القعدة ١٤٣٥ هـ – ٢١ سبتمبر ٢٠١٤م – العدد ١٦٨٩٠، صفحة رقم (٢٢) على الرابط: http://s.alriyadh.com/pdf_files/16890/#22/z بتاريخ ٢٠١٦/٢/٢٠.

لكن الكتاب لايحتاج إلى محاضرة ليترك الانطباع والأثر، فالحقيقة تتمثل في أن الأدب الجيد جميعه يحدث تغييرا.

وهناك جملة من الأبحاث تشير على نحو متزايد إلى أن بوسع المرء أن يُحسن حاله من خلال المطالعة المستمرة لكتب الأدب كالقصص والروايات، للمساعدة في مواجهة تحديات الحياة، وليست كتبا مرصوصة على أرفف المكتبات.

لقد ثبت أن القراءة تذكي من الفكر التحليلي، وتمكن من أن إدراك الأشياء بمنظور أفضل، وهي أداة متاحة ومتيسرة لمعالجة مشاكل السلوك المرتبك في غالب الأحيان لنا وللآخرين.[١]

وتتمثل أهمية القراءة للإنسان في مساعدتها للعقل على التمرين والعقل كأي عضو آخر في الجسم إن لم يتم تمرينه بشكل مستمر وملائم يتأثر سلباً ويمكن أن يؤثر على أعضاء الجسم الأخرى، وفي المقابل يمكن أن يؤثر إيجاباً في حمايته من الإمراض في حال تم تمرينه بشكل مستمر، وما يؤكد ذلك دراسة أعدها كريستوفر وليامز من جامعة كلاسكو، تشير نتائجها إلى أهمية كتب تطوير الذات وفي مكافحة الاكتئاب، إذ إن الاكتئاب يستنزف طاقات الإنسان وحوافزه ويعطيه شعوراً باليأس واستحالة التغيير، بينما قراءة هذا النوع من الكتب تحفزهم وتمنحهم جرعة من الأمل وقدرة على مقاومة الاكتئاب، ويؤكد مثل هذه الدراسة دراسة أخرى أجرتها جامعة مانشيستر وتشير إلى أهمية هذا النوع من الكتب في معالجة الاكتئاب.

ودراسات أكدت على أمثلة عديدة وهامة للعلاقة بين القراءة وحالة الإنسان الصحية، ومنها ماتشير إلى أن القراءة أفضل طريقة للتخلص من التوتر بل وأكثر فائدة من شرب القهوة أو ممارسة رياضة المشي، وإلى انخفاض الشعور بالتوتر خلال دقائق معدودة من بدء القراءة بحسب ما يشير اليه جهاز تخطيط القلب، فضلاً عن دراسات أخرى تشير إلى العلاقة بين القراءة والصحة العقلية كدورية علم الأعصاب والتي تشير إلى نتائج دراسة أجريت على ٢٩٤ شخصاً في سن ٨٩ إذ أن الأشخاص المنخرطين في أنشطة ترتبط بالعقل أفضل صحة عقلية بمعدل ٣٢% مقارنة بغير المنخرطين فضلاً عن عدد كبير من الدراسات التي تشير إلى أهمية القراءة قبل النوم للمساعدة في تهدئة العقل وتمكين الإنسان من النوم.

الخلاصة:

---

[١] هيفزيباه أندرسون(كاتبة حرة) العلاج بالقراءة: كيف تجلب الكتب السعادة، متاح في: ١٣ يناير/ كانون الثاني، ٢٠١٥، على الرابط:

القراءة ليست وسيلة لزيادة المعارف واكتساب المهارات والعلوم ورفع معدلات الذكاء والقدرة على التحليل والإبداع فحسب، مع أهمية كل ذلك لتمكين الأفراد من النجاح في الحياة، بل أثبتت الأبحاث أهمية القراءة كعلاج لعدد من الأمراض على مستوى الصحة البدنية والنفسية والعقلية وعلى مستوى الجسم والنفس كافة، ولإعادة تأهيل الإنسان ليكون مواطنا صالحا قادرا على أداء واجباته مستثمرا ما توفره له الحياة من مقدرات وسبل للعيش بسلام، يتطلب ذلك من الجميع إعادة النظر في العلاقة بين أنواع المكتبات وبين القراءة لتقديم برامج وأنشطة وخدمات للتعافي: بدنيا، نفسيا، جسميا، عقليا، تربويا ثقافيا اجتماعيا وحضاريا.

التوصيات:

١. إعادة تفعيل دور المكتبات العامة في المجتمع في شتى فروعها وأنواعها وأشكالها ابتداء من مكتبات الأطفال، ومكتبات النواحي والأقضية والقصبات، ومكتبات المستشفيات، إلى المكتبات المتجولة أو المتنقلة(تصل إلى المناطق النائية، أو في الأسواق، ومحطات الانتظار: الحافلات، القطارات، الطائرات).

٢. إعادة الارتباط والتعاون بين المكتبات المدرسية والمكتبات العامة.

٣. مد جسور الصلة والتعاون بين المكتبات الجامعية والمكتبات العامة.

٤. تفعيل دور المرشد النفسي في المدارس وإضافة برنامج "علاج بالقراءة" ضمن مهامه الإرشادية.

٥. رفد مكتبات المستشفيات بمجموعات غنية من مصادر المعلومات وتنميتها سواء بالشراء، أو الإهداء، أو الوقف لإمدادها بالجديد وتطويرها لتصبح منتدى للمرضى و"صيدلية علاجية" لأمراضهم(البدنية، النفسية، والفكرية،...) ومشاكلهم كافة.

٦. تدريس مواد "العلاج بالقراءة لشرائح المجتمع" في المناهج الدراسية في أقسام علوم المعلومات والمكتبات في الدراسة الأولية والعليا.

٧. استحداث مادة دراسية ضمن المناهج التعليمية لتنمية القراءة كوسيلة مهمة للنمو الذاتي للفرد.

٨. الاهتمام في الندوات والمؤتمرات العلمية، – أو يكون احد محاورها– القراءة كوسيلة علاجية لشرائح المجتمع.

٩. تبقى المكتبات المدرسية (رياض الأطفال، المرحلة الابتدائية، المرحلة المتوسطة والمرحلة الثانوية) هي بيئة المعلومات الأولى والحلقة الأقوى في إرساء الميول القرائية للإنسان، تحتاج إلى إعادة

تأهيل(سواء في بناء مجموعات قيمة وغنية، تقديم خدمات متنوعة، بناء ملاكات تعنى بتقديم أفضل أنشطة وخدمات ممكنة) لدورها الحيوي في مراحل الحياة كافة.

١٠. المكتبات الجامعية، تمارس دورها لجذب واحتواء أنشطة الطالب الجامعي (العلمية، الترفيهية، التسلية وقضاء وقت الفراغ، إشباع رغباته القرائية وهواياته) وتوجيهه، فضلا عن توفير واجبات واحتياجات المواد الدراسية والنشاطات البحثية.

١١. التعاون بين المكتبات في العراق ومصر لتبادل الخبرات وتعزيز التجارب في برامج العلاج بالقراءة لفئات المجتمع، وترشيح مصادر المعلومات(الترفيهية، القصصية، كتب الخيال، كتب الحكمة، الروايات، القصائد، القصص الدينية، التاريخية، السير والتراجم لشخصيات بارزة،...) التي تسهم في العلاج.

كلمات قالوها عن تجربة:

" بيتٌ بلا كتبٍ جسدٌ بلا روحٍ " شيشرون

" خيرٌ لك أن تزخرَ مكتبكَ بالكتب من أن تمتلئ محفظتكَ بالنقود". جون لايلي

" القراءة للنفس كالرياضةِ للجسم". إديسون

"يقول المرشدون: اقرأ ما ينفعك، ولكني أقول: بل انتفع بما تقرأ" عباس محمود العقاد